الروّح و النفّس

الروّح و النّفْس

الروح والنفس معناهما واحداً ، يقول الله عزوجل :

(ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(١)

ويقول سبحانه وتعالى :

(... وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ)(٢).

فالمقصود بالنفس فى الآيتين هى الروّح .

وقد ذكر القرآن الكريم الأنفس ، فما المقصود بالنفس فى اللآيتين هى الروّح .

وقد ذكر القرآن الكريم الأنفس ، وقسمها إلى ثلاثة أقسام وهى : -

أولا : النفس الأمّـــارة بالسوء .

ثانيا : النفس اللـــوامـــة .

ثالثاً :النفس المطمئنة .

والحقيقة أن هذه الأقسام الثلاثة ليست باقسام للنّـفس، إنما هى فى الحقيقة (صفات لها)فهناك نفس موصوفة باللوّامة وأخرى بالأمّارة بالسوء ، وثالثة بالنفس المطمئنة قال تعالى : فى وصف النفس الأمارة بالسوء

١. – سورة الزمر : الآية ٤٢.
٢. – سورةالأنعام : من الآية ٩٣.

(وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ). (١)

فإذا شذبت النفس ، وهذبّت بالإسلام و تعاليمه السمحة ،إلى الخير ، وينهاها عن الشّر ويحاسب نفسه ، فإذا ما وصلت النفس إلى هذا الطور من المحاسبة ، والمراقبة ، واليقظة استراحت النفس للخير ، واطمأنت إليه ، وضاقت بالشّرونفرت منه ، ونأت عنه ، تصبح النفس بعد ذلك نفساً لوّامة وهى التى تلوم صاحبها على ارتكاب المعصية ، واقتراف الذنوب ، واجتراح السيئات يقول سبحانه

(لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ) (٢)

فعندما يواصل الإنسان المسلم جهاد نفسه ، وكبح جماح شهواتها فإنه بذلك يرتفع عن النقائص ، ويسمو بنفسه إلى مدارج الكمال، ويبلغ منزلة الرّشاد .ليكون أهلاً لجوار اللّه فى الدّار الآخرة يقول سبحانه :

(وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ) (٣)

فحين يرتفع المسلم بالنفّس إلى مدارج الحق، والخير ، والجمال ، والرشاد ، والكمال فإنه بذلك تكون النفس قد وصلت إلى مراقى الفلاح ، ودرجات النجاح وهو الاطمئنان الذى يقول فيه الحق سبحانه :

---

١. – سورة القيامة : الآية ١-٢.
٢. – سورة يوسف : الآية ٥٣.
٣. – سورة الحجرات : الآية ٧.

(يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى)(١)

وما لم يَصل الإنسان إلى هذا المستوى الدينى ، وتلك الدرجة الرفيعة يكون قد ظلم نفسه ، بل ويعرّضها لخسارة فادحة لا يستطيع تداركها ولا الخلاص منها ، يقول الحق تبارك وتعالى:

(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا)(٢).

أين تذهب الروح بعد مفارقتها للجســـــد ؟!

إن الروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت حيث إن الجسد إنما يتحرك بالروح ويحّس بها كذلك ، وبالروّح أيضاً يدرك ، ويعى ، ويفكر ، ويريد ، ويختار ، وبعد مفارقتها للبدن يفنى الجسم ، ويتحلّل فى الترّاب ، ولا يبقى منه سوى " عجب الذنب " الذى سيفنيه اللّه عزوّجل وذلك على رأى بعض العلماء ، ويرى بعضهم أنه يبقى لأنه أصل الإنسان ، ومنه سيعيده اللّه عزوجل ، ولكّن الرّوح تبقى و تدرك ، وتعرف زائرها ، وتسمعه وترّد عليه السلام ، وتعرفه أيضا كما أنها تحّس بلذة النعيم ، كما تتذوق ألم الجحيم .

يقول ابن تيمية رحمه اللّه : (وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله و أصحابه فى الدّنيا ، ويعرض عليه ذلك كلّه ، ويرى و يدرى ، مايفعل عنده ، ويسرّه ما يكون حسناً ، ويتألم بما يكون قبيحاً ، وروى أن السيدة الفضلى عائشة رضى اللّه عنها كانت تستتر عند قبر" عمر بن الخطاب " " رضى اللّه عنه .وتقول : (أمّا عمر فأجبنىّ تريد أنه يراها من داخل قبره .

---

١ – سورة الفجر : الآية ٢٧:٣٠.
٢ – سورة الشمس : الآية ٧:١٠.

وروى أن الميت إذا مات و استقبله أهل المقابر وهم فى البرزخ ، فيسألونه عن حال أهليهم ، وورد أنهم يسألونه قائلين : " كيف حال فلان " ؟ وهل تزوجت فلانة ؟

سؤال القبر :

أما سؤال القبر ، فقد اتفق أهل السنة و الجماعة على أن كل إنسان يسأل بعد موته قبر أم لم يقبر ، فلو أن السباع أكلته ؟ أو أحرق بالنار حتى صار رماداً كما يفعل "الهندوس فى الهند " حيث إنهم يقومون بإحراق جثّة الميت حتى تصير رماداً ، ثم يذرونه فى الرياح ، حسب معتقداتهم الزائفة ، أو غرق فى البحر ، أو مات بأية طريقة من الطرائق فإنه سيسأل فى القبر عن أعماله ، وسيجازى بالخير خيراً ، وبالشر شراً وأن النعيم يكون بالروح و الجسد ، وكذلك يكون العذاب وعلى ذلك مذهب سلف الأمة ، وأئمتها على أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة الجسم فى نعيم أو عذاب ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً فإذا قامت القيامة وخرج الناس من أجداثهم ، وقاموا لرّب العالمين من قبورهم أعيدت الأرواح للأجساد ، ويقول النبى صلى اللّٰه عليه وسلم (إن الميت إذا وضع فى قبره ، إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيّام عند يمينه، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة ، والمعروف ، والأجساد عند رجليه فيوتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : (ما قبلى مدُخل)ثم يوتى من يمينه فيقول الصيام : (ما قبلى مدُخل ثم يوتى عن يساره فتقول الزكاة : (ما قبلى مدُخل) ثم يوتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة ، والصلة ، والمعروف والإحسان : (ما قبلى مدُخل) فيقال له (اجلس) فيجلس قد مثلت له الشمس ، وقد أُخِذَت للغروب فيقال له (هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول :(دعونى أصلى) فيقولان : (إنك

تصلى ستصلى ، أخبرنا عما تسألك عنه ؟ أرأيتك يعنى (أخبرنا) أن هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد عليه ؟ فيقول : (محمد صلى الله عليه و سلم) أشهد أنه رسول جاء بالحق من عند الله .

فيقال له :(على ذلك حييت ، وعلى ذلك مُتّ ، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له : (هذا مقعدك وما أعّد الله لك فيها ، فيزداد غبطة و سروراً ، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً ، وينّور له فيه ، ويعاد الجسد لما بدىء منه تجعل نسمته يعنى (روحه) فى النسّيم الطيب ، وهى طير معلق فى شجر الجنة . (١)

قال: كذلك قول الله تعالى:

(يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ) . (٢) وقيل فى الكافر عكس ذلك إلى أن قال : (ثم يضيق على الكافر فى قبره إلى ان تختلف فيه أضلاعه ، فتلك المعيشة الضنك التى قال الله فيها :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ) . (٣)

وذهب ابن حزم ، وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروّح فحسب ، وخالفهم فى ذلك الجمهور ، وهو أن الروح تعاد إلى الجسد أو بعضه كما ثبت فى الحديث أن الله تعالى يعيد إليه الرّوح بقدر ما يتوقف عليه فهم السؤال وردّ الإجابة ، وهو الصحيح ، وما نرتضيه

١.- د الإمام أحمد .
٢.- سورة ابراهيم:الآية ٢٧.
٣.- سورة طه الآية :١٢٤.

ونميل إليه ، بل و نؤيده أما استدلال الذين يقولون إن ذلك يقع على الروّح فقط ، كون بعض الناس يموت غريقا، أو حريقاً ، أو أن سَبُعَاً أكله فإننا نردّ على هؤلاء بقولنا : (إن الله عزوجل هو الذى خلقه ، وفطره ، وأنشأه ، وهو قادر على إعادته .

قال تعالى :

(أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤)[1]

فانظر إلى البنان وهو طرف الإصبع ، كيف سوّاه الله عزوجل بإحكام و دقة ويقول الله عزوجل أيضا : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣)[2]

ولقد ثبت علمياً أن بشرة الأصابع مغطّاه بخطوط دقيقة متناهية فى الدّقة ، ومنها ما هو على شكل (أقواس) أو (عَرَاوٍ) ، (أو) دوامات) وهذه الخطوط لا يمكن أن يشابه إنسان فيها آخر ولهذا السبب اعتمدتها الدول رسمياً ، وأصبحت تميز الإنسان عن الآخر ببصمة الإبهام فتبارك الله أحسن الخالقين .[3]

ومما لا ريب فيه أنها معجزة من المعجزات التى تدل على أن لهذا الكون إلى خلقه وصنعه وأبدعه ، وأحاطه بقدرته ، وشمله بعنايته ورعايته ، وقدّر أقوات العباد ، وأرزاقهم

---

١. سورة القيامة الآية : ٣.
٢. سورة يس الآية : ٨٢-٨٣.
٣. التبيان فى علوم القرآن / للشيخ محمد على الصابونى صـــ١٣٦.بتلخيص وتصريف

وآجالهم .(فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون) ولا يسعنا فى هذا المجال إلا أن نسلّم الأمر لله ، ونعبده و نوحده ، ونشهد أن لا إله إلا هو .

مستقر الأرواح :

للعلماء كثرة كاثرة من الآراء فى مستقر الروّح ، ذكرها ابن قيّم الجوزية فى كتابه (الروح) ثم ذكر القول الراجح منها وهو (إن الأ رواح متفاوته فى مستقرها فى البرزخ أعظم التفاوت .

فمنها أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، والأنبياء أيضا متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبى عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج ومنها أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وهى أرواح بعض الشهداء ، فمن الشّهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة وذلك لدَيْنٍ عليه لم يقم بسداده حال حياته ، ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة ، كما فى الحديث (رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة) .

ومنهم من يكون محبوساً فى قبره كحديث صاحب (الشملة) التى غلهّا يعنى (سرقها من الغنائم قبل أن تقسّم) ثم استشهد فقال الناس (هنيئاً له الجنة) فقال عليه السلام (والذى نفسى بيده إن الشملة التى علّها لتشتعل عليه ناراً فى قبره ومنهم من يكون مقرّه باب الجنة كما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما (الشهّداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة و عشية(١) .وهذا بخلاف (جعفر بن أبى طالب) حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث يشاء .

١.رواه أحمد .

ومنهم من يكون محبوساً فى الأرض ، لم تَعْلُ روحه إلى الملأ الأعلى فإنها إن كانت روحاً سفلية أرضية ، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السّما وية ، كما لا تجامعها فى الدنيا .

والنفس العلوية التى كانت فى الحياة الدنيا عاكفة على العبادة ، وحبّ الله ورسوله تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها ، حيث إن المرء مع مَنْ أحب فى البرزخ ، ويوم القيامة .فالروّح بعد المفارقة تلحق بمثيلاتها ، وأصحاب عملها ، ومن هم على شاكلتها فى العمل الصالح .

ما الدُّور التى تسكنها هذه الأنفس ؟

لهذه الأنفس دور تسكنها ، وكلُ دار أعظم من أختها .

أولاً : الدار الأولى : يوم أن كنت فى بطن أمّك وأنت فى ظلمات ثلاث .

ثانيـاً : والدَّار الثانية هى " الدنيا " تلك الدّار التى نشأت فيها وحصّلت فيها الخير و الشّروالحسنة والسيئة .والعادة و الشقاوة .

ثالثـاً :والدّار الثالثة هى " البرزخ " وهى دار أوسع من هذه الدّار ، وأعظم منها بكثير.

رابعاً:الدّار الرابعة : وهى دار القرار ، وهى الجنة أو النّار ، فلا دار بعدها ، ولا مقر سواها .يقول الله عزوجل : (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) . (١)

والله سبحانه وتعالى ينقل الروّح فى هذه الدوّر طبقاً حتى يبلغها الدّار التى لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها ، ولها فى كل دار من هذه الدوّر حُكْمٌ وشأن يخالف شأن الأخرى ، فالحكم الذى يجرى عليها وابن آدم فى بطن أمّه يخالف الحكم الذى يجرى عليها

١.سورة القصص : الآية : ٨٣.

وهو فى الحياة الدنيا بعد ولادته وبعد أن يشِبّ عن الطّوق ، ويبلغ مبلغ الرجال قوة و فتوة والحكم الذى يجرى على الروّح وهى الحياة البرزخية مخالفٌ تماماً لجميع ما سبق من الأحوال ، وكذلك الكم على الروّح وهى فى الدارّ الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين مخالف لجميع الأحوال ، وكل الحالات وذلك حين يقف الخلق جميعاً فى عرَصَاتِ القيامة للفصل والحساب والصراط ، والميزان ، والجنة و النار.

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التى كان قبل الموت بانيهَا
فإن بناها بخير طاب مسكنه وأن بناها بشرّ خاب بانيها
فاعمل لدار غداً رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن بانيهَا

فالروح فى كل دار من هذه الدوّر لها أحوال تخالف أحوالها فى الدار الآخرة وشأن غير الشأن الذى يلاقيه فى آية دار من الدور التى أومأنا إليها آنفا(فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ (١)

" ونشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله .إنا للّه وإنا إليه راجعون .

إليه يرجع الأمر كله ، بيده الخير كله ، والعّز جميعه ، والحكم كلها ، والكمال المطلق من جميع الوجوه .

" قل إن الأمر كله للّه" .

وموتى ، وعرفت أنى لن ألتقى بك إلاّ فى الدنيا ، وإنك ترفع بين النبيين ، وعرفت أنى إن دخلت الجنة كنت فى منزلة أدنى من منزلتك فلم يردّ النبى صلى اللّه عليه و سلم

١.سورة الروم:.الآية: ١٩.

فـأنزل الله تعـالى : (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا) (١)

وقال تعالى : (يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾) (٢)-والمراد يا أيتها النفس المطمئنة ادخلى فى جملة عبادى الصالحين وكونى معهم فى الجنة ويقال هذاً القول للرّوح عند الموت .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الشّهداء بأنهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون ، وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل وهذا دليل على أنهم يتلاقون ، لأنهم عند ربهم يرزقون .

وإذا كانوا أحياء فإنهم يتلاقون ، وأنهم يستبشرون بإخوانهم لقد ومهم عليهم ولقائهم لهم ، وأن لفظة يستبشرون) يفيد فى اللغة أنهم يبشّر بعضهم بعضاً وفى البلاغة العربية تفيد اللفظة " التجدد و الحدوث " أى أن البشرى للشهّداء حادثة لهم و متجددة دائماً كما أن فى الآية دليلاً على أن الشهيد أفضل من الولىّ حيث إن الله تعالى يقول فى حق الشهداء (يستبشرون) والتعبير بالفعل المضارع يفيد التجدد والحدوث .

أما فى حق الأولياء فإن الله تعالى يقول : (لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ...) .فهىبشرى واحدة فى الدنيا والآخرة ، إذن فالشّهيد أفضل من الولى .

ولا غرو فإن الشهيد من المرابطين المجاهدين فى سبيل الله ، وقد باع رُوحَـهُ فى سبيل عقيدته وإعلاء كلمة الله ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ." عينان لن تمسهما النار أبداً ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله ، وقال رسول الله

١.سورة النساء: الآية ٦٩ .
٢.سورة الفجر: الآية ٢٧-٣٠.

صلى الله عليه وسلم – فى حق الشّهداء يبعثون يوم القيامة وأوداجهم تشخب دماً ، اللون لون الدم / والرّيح ريحُ المِسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوزن يوم القيامة مِدَاد العلماء ودم الشهداء .

لقاء الأَرْواح :

هل تتلاقى الأرواح بأرواح الأموات ؟ أجل .تتلاقى أرواح الأحياء مع أرواح الأموات يقول تعالى : (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[1] "فالله سبحانه يتوفى الأنفس حين موتها ، وانتهاء أجلها " (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون والتى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى ومعلوم لديه سبحانه وتعالى .

فالإرسال هنا ليس إرسالاً مطلقاً ولكن إلى أجل معلوم ، ومحددّ استأثر الله بعلمه فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى معنى هذه الآية " بلغنى أن أرواح الأحياء و الأموات تلتقى فى المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها .ولا غَرْوَ ، ولا عجب فإن النّائم يرى نفسه فى فرنسه أو أمريكا ، أو أنّه عقد صفقة تجارية ، أو أقام بإصلاح بين متخاصمين ، أو زار قريباً له فى هذه البلاد ثم يستيقظ بعد بُرهة ليقّص على الناس ما رأى فى منامه ، فهذادليل عى أن أرواح الأحياء تفارق أجسادهم فى النوم وتسافر وتلتقى بأرواح أخرى ثم تعود إلى جسدها الرّابض فى سرير النّوم ،فالله يتوفاّها فى منامهما فتلقى رُوح الحىّ بروُح الميت فيتعارفان

١.سورة الزمر : الآية : ٤٢.

ويتذاكران بعض الأحوال الدّنيوية أو الأخروية ويتحدثان معاً ،ثم تعود روُح الحىّ إلى جسده حتى ينتهى أجله وتحين وفاته ، وتريد روُح الميّت أن ترجع إلى جسده فتحبس عن ذلك .

فاللّه يتوفّىنفس الميّت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة ويتوفى نفس النائم ثم يرسلهاإلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفا ة الأخرى .وهذا رأى لفريق من العلماء فى الآية الكريمة ، والقول الآخر هو : أن المسكة و المرسلة فى الآية الكريمة كلاهما " تُوفى وفاة النوم " غالروح التى استكملت أجلها ذكرنا آنفاً أن الموت نُقْلةٌ من حياة إلى حياة ، نُقْلَةٌ من حياة فانية إلى حياة باقية خالدة ، كما أنها نقلة من دارٍ كلها كدٌّ ونصب ومَلَلٌ وسأم (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) .

إلى دار كلها نعيم يقول تعالى (إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ)[1].

من هذا المنظور الإسلامى يستبينلنا بجلاء ووضوح تامّين أن الروّح تُنَعّمُ مع الجسد فى الحياة البرزخية ، وتعذب كذلك فهل يعرف الأموات الأحياء ؟

أجل : يعرف الأموات زيارة الأحياء لهم ، ويردّون السّلام عليهم يقول ابن عبد البر "ثبت عن النبى صلى اللّه عليه وسلم .أنه قال : (مامن مسلم يمّر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا ردّ اللّه عليه روحه حتّى يردّ عليه السلام .وفى الصحيحين عنه صلى للّه عليه وسلم .من وجوه متعددة : أن رسول اللّه عليه السلام أمر بقتلى بدر فى (القليب)[2]. ثم جاء عليه السلام ووقف عليهم ، وناداهم بأسمائهم قائلاً : يا عتبة بن ربيعه ، يا شيبه بن ربيعه ، يا فلان يا فلان ويا فلان بن فلان .لقد وجدت ما وعدنى ربّى

١.سورة يّس : الآية : ٥٥-٥٨.
٢.القليب : البــئر.

حقًّافهل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقًّا؟ !!وهذا على سبيل التهكّم والسّخر ية والإستهزاء حيث لا ربّ سواه ولا إله غيره .

فقال له " عمر بن الخطاب " جبّار الجاهلية وعملاق الإسلام رضى اللّٰه عنه : يا رسول اللّٰه .أتخاطب قوماً قد جيفوا ؟ !!

فقال صلى اللّٰه عليه وسلم والذى يقنى الحقّ ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهّم لا يستطيعون جواباً .

وهذا الموقف يصّوره الشاعر الإسلامى " حسان بن ثابت " رضى اللّٰه عنه فيقول :

ينـــاديهم رســـول الله لمّـــا تركنـاهم كباكب[1] فـى القليـبِ

ألـم تجـدوا حـديثى كـان حقّـا وأمـــراللّٰه يأخـــذ بـــالقلوب

فمـــا نطقواولـــو نطقـــوا لقـــالوا صـدقت وكنـت ذا رأى مُصـيبِ

وثبت عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين لجنازته إذا ما انصرفوا عنه ، ويعيد اللّٰه فيه الحياة بقدر ما يتوقف عليه فهم السّؤال ،ورّد الإجابة ، ولذلك شرع الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم .لأمّنه إذا سلموا عاى أهل القبور أن يسلّمُوا عليهم سلامَ مَنْ يخاطبونه ، فيقول : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين) وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم و الجماد والسّلف مجمعون على هذا ، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحّى له ويستبشر به فقد روى عن السيدة عائشة رضى اللّٰه عنها أنها قالت : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم (مامن رجل يزور قبر أخيه ، ويجلس عنده إلا استأنس به ورّد عليه حتى يقوم .)

١.كباكب يعنى : مجتمعين .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (إذا مرّ الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلّم عليه ردّ عليه السلام وعَرفَه ، وإذا مـّر بقبر لا يعرفه فسلّم عليه ردّ عليه السلام الشمس علم الميّت بزيارته وذلك لفضل يوم الجمعة .

وحدَّث رجل من آل " عاصم الجحدرى " قال : (رأيت عاصماً الجحدرىّ فى منامى بعد موته بستين فقلت أليس قد (مُتَّ) ؟ قال بلى فأين أنت ؟ قال أنا والله فى رَوْضَةٍ من رياض ا لجّنة ، أنا ونَفَرٌ من أصحابى نجتمع كلّ ليلة جمعة وصبيحتها إلى (بكر بن عبد الله المزنى) فنلتـَقّى أخباركم قال : قلت له : (أجسادكم أم أرواحكم)؟ قال هيهات !! بليت الأجسام ، وإنما تتلاقى الأرواح ، قال : فهل تعلمون بزيارتنا إياكم ؟ قال نعم .نعلم بها عشيّة الجمعة كله ، ويوم السبت إلى طلوع الشمس قال : قلت : فكيف ذلك دون الأيام كلها ؟ قال : لفضل يوم الجمعة وعظمته .ومكان يوم الجمعة عظيم حقاً حيث إن الله خلق فيه آدم ، وفيه أدخله الجنـّة ، وفيه أخرجهمن الجنة ، وفيه تاب عليه ، أعاده إلى الجنة ،وفى يوم الجمعة ساعة إجابة مابسط عبد فيها يديه إلى ربه إلاّ ستجاب له .

ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة فيوم الجمعة تاريخ إسلامى عظيم ، ومغفرة من الله ورضوان لمن جأر إلى الله بالدّعاء ، ولذلك أخفيت ساعة الإجابة يوم الجمعة ليهرع النّاس إلى المساجد فى وقت بَاكِر بالدعاء و الرجاء (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ). (١)

ويقول الفضل بن الموفق : (لمّامات أبى جزعت عليه جزعاً شديداً فكنت آتِ قبره فى كل يوم ، ثم قصّرت عن ذلك ما شاء الله ثم إنى أتيته يوماً فبينا أنا جالس عند القبر

١.سورة الجمعة : الآية ٩.

غلبتنى عيناى فنمت فرأيت كأن قبر أبى قد انفرج وكأنه قاعد فى قبره متوشحاً أكفانه عليه سحنة الموتى قال فكأنى بكيت لمـّا رأيته .

قال : (ما جئت مـّرة إلا علمتها ، وقد كنت تأتينى فآنس بك وأسَرُّ بك ، ويسُّر من حولى بدعائك .قال : فكنت آتيه بعد ذلك كثيراً .وعن عائشة رضى اللّٰه عنها أنها قالت : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : (مامن رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده "إلا استأنس به حتى يقوم " .وهذا دليل على أن الميّت يعرف سَلاَ مَ من يسلم عليه ، ودعاء من يدعو له ، ولولا أن الميت يسمع السّلام و الدعاء من الأحياء ما كانت هناك فائدة من تلقين الميّت فى قبره ، ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة ، بل كان ذلك الفعل عبثاوقد سئل عنه (الإمام أحمد بن حنبل) يرحمه اللّٰه فاستحسنه واحتّج عليه بالعمل

ويروى فى ذلك حديث ضعيف ذكره الطبرانى فى معجمه من حديث " أبى أمامه قال : (قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم إذا مات أحدكم فسوّيتم عليه التّراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان : ابن فلانه فإنـّه يسمع ولا يجيب ، ثم يقل يا فلا ن ابن فلانه للمرة الثانية فإنه يستوى قاعداً (يعنى الميت) ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة فيقول له الميت : أرشدنا رحمك اللّٰه ولكنكم لا تسمعون فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدّنيا يعنى شهادة أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمداً رسول اللّٰه ، وأنك رضيت باللّٰه رباً وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً ، فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما ويقول : انطلق بنا ، ما يقعدنا عند هذا.

وقد لقّن حِجَتُه ويكون اللّٰه ورسوله حجتهُ دونهما فقال رجل يا رسول اللّٰه دونهما فقال رجل يا رسول اللّٰه فإن لم يعرف أمـّه؟ قال : ينسبه إلى أمـّه حوّاء ا.

هل تتلاقى أرواح الأموات وتتزاور ؟

الأرواح قسمان :

القسم الأول : أرواح منعمة .

القسم الثانى : أرواح معذبة .

فالأرواح المعذبة تكون فى شغل شاغل بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى .أما الأرواح المنعمة فهى أرواح مرسلة غير محبوسة ، يقول تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)(١) فعيلة بمعنى مفعولة ، يعنى رهينة بمعنى مرهونة ، أى محبوسة الأرواح المحبوسة لا ترى فى الرؤية ، ولا تلتقى بغيرها ، أما الأرواح المرسلة المطلقة غير المحبوسة تتلاقى و تتزاور ، وتتذاكر ما كان منها فى الدّنيا ، وما يكون أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها وهذه عملية تصنيف فى الحياة البرزخية .

فكلّ روح مع التى تتوافق معهما فى العمل ، وبمعنى أدق مع الروّح التى كانت تماثلها فى الدنيا عملاً ، وطاعة ، وعبادة .أمّا روح نبينّامُحمَّد صلى الله عليه وسلم .فهى فى الرفيق الأعلى قال تعالى (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا)(٢)

وهذه المعّية ثابته فى الدنيا ، وفى الحياة البرزخية ، وفى دار الجزاء ، والمرء مع مَنْ أحبّ فى هذه الدّو ر الثلاثة .وجاء رجل من الأنصار يبكى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له مايبكيك يا فلان ؟ فقال : يا نبى الله والله الذى لا إله إلا هو لأنت أحبّ إلىّ من نفسى وأنا أذكرك أنا وأهلى فيأخذنى كذا حتى أراك ، فذكرت موتك أمسكها الله سبحانه

١.سورة المدثر : الآية ٣٨.
٢.سورة النساء : الآية ٦٩.

وتعالى عنده فلن يردها إلى جسدها مـرّة ثانية ، والرّوُح التى لم تستكمل أجلها يردّها إلى جسدها حتى تستوفى أجلها .قال تعالى " (..... لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)(١)

ونحن إلى هذا الرأى نميل .وعلى ذلك يدّل ا لقرآن الكريم ، والسّنة النبويه المطهّره فالأرواح قسمان .قسم قضى عليه الموت فأمسكه لديه ، وقسم لم يقضى عليه الموت فأرسله مرة أخرى .حتى يحين قطاف أجله ، وانتهاء حياته ، فالوفاة وفاة موت ، ووفاة نوم .

فالوفاة أولاً: وفاة "نوم " فإذا كان اللّه قد قضى عليها الموت يمسكها ، وإذا لم يكن قضى عليها الموت يرسلها .ولذلك يقول سبحانه "اللّه يتوفى الأنفس حين موتها " فأرواح الأحياء تلتقى بأرواح الأموات ، ويتذاكرون ما كان بينهم فى الدّنيا من الأحوال .

ويقول " سعيد بن المسيّب " : التقى " عبد اللّه ابن سلام وسلمان الفارسىّ " .فقال أحدهما للآخر : " أن متّ قبلك فالقى فأخبرنى ما لقيت من ربّك وإن أنا متّ قبلك لقيتك فأخبرتك ، فقال الآخر : (وهل تلتقى الأموات والأحياء ؟ !! قال : نعم أرواحهم فى الجنّة تذهب حيث تشاء .

وقال " العباس بن عبد المطلب " رضى اللّه عنه " كنت أشتهى أن أرى " عمر بن الخطاب .رضى اللّه عنه فى المنام ، فما رأيته إلا عند قرب الحَوْل، أى بعد مضى سنة إلا قليلاثم رأيته رضى اللّه عنه يجفّف العرق عن جبينه وهو يقول : " هذا أوَانُ فراغى " إن كاد عرشى ليُهّد لولا أن لَقِيتُ رؤوفاً رحيما .وقال " عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز رأيت أبى فى النوم بعد موته كأنّه فى حديقة فدفع إلىّ تفاحات فأولتهنّ الولد .ثم قلت له أى الأعمال وجدت أفضل ؟ فقال رحمة اللّه : الإستغفار يابنىّ . (٢)

١.سورة الرعد :من الآية ٣٨..
٢.الروح لابن القيم –دار مكتبة التربية – بيروت – لبنان .

ورأى " مسلمة بن عبد الملك ابن مروان " " عمر بن عبد العزيز " رضى الله عنه وهو خامس خلفاء بنى أمية ، ويترضى عنه لأنه سلك مسلك الخلفاء الراشدين " رضى الله عنهم فى العدل ، والزّهد ، والعبادة ، والورع ، والتقوى رآه بعد موته فقال له : ياأمير المؤمنين " إلى أى الحالات صرت بعد الموت ؟ قال : يا مسلمة : هذا أوان فراغى ، والله ما استرحت إلا الآن قال مسلمة : قلت له فأين أنت يا أمير المؤمنين قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله " أنا مع أئمة الهدى فى جنة عدن "

وقال" سهيل " رأيت مالك بن دينار " بعد موته فقلت " يا أبا يحيى " ليت شعرى ماذا قدِمتَ به على الله .قال " قدمت بذنوب كثيرة محاها عنّى حسن الظن بالله عزوجل .ويقول ابن عيينه " رأيت " سفيان الثوّرى " فى النوّم فقلت أوصنى : قال" أقلّ من معرفة الناس " ولعله يقصد بذلك شرار الناس ، وفى هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إمّا أن يُحْذِيَك ، وإما أن تبتاع منه وإمّا ان تجد منه رائحة طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرّق ثيابك وإما أن تشّم منه رائحة خبيثة .

فلعّل المقصود من مقولته هذه (أقلّ من معرفة الناس) شرارهم ، والذين لا خير فيهم يقول تعالى :

(ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ) (١)

فإن الإسلام يحذر من مخالطة الأشرار والإتصال بهم ، والتعرف عليهم إلا إذا كانت معرفتهم من باب الحذر والحيطة ، والنأى عنهم حيث إن الشّر يعدى ، ولذلك يوجهنا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فيقول : " يحشر المرء على دين خليله فلينظر

١.سورة الزخرف : الآية ٦٧.

أحدكم من يخالل وهنا ينبهنا ، ويرشدنا عليه السلام إلى انتقاء الأصدقاء واختيار الصحبة ولّما ماتت " رابعة العدوية " الصوفية الزاهدة ، الورعة ، التقيّة رأتها إمرأة من أصحابها وعليها حُلّة من (استبرق) وخمار من(سندس)وكانت (رابعة) قد كفنت فى جُبّة وخمار من صوف الصوف ؟!!

قالت رابعة العدوية " : واللّه إنه نزع عنى ، وأبدلت به هذا الذى ترين علّى وطويت أكفانى ، وختم عليها ورفعت فى عليّين ليكمل لى ثوابها يوم القيامة ، قالت المرأة لرابعة .لهذا كنت تعملين أيام الدنيا فقالت (رابعة) وما هذا عندما رأيت من كرامة اللّه لأوليائه ، فقلت لها :فما فعلت (عبده بنت أبى كلاب) فقالت رابعة : هيهات هيهات سبقتنا واللّه إلى الدرجات العلى ، فقلت لها : وبما وقد كنت لدى الناس أعبد منها ؟ فقالت(رابعة)إن (عبدة بنت كلاب) لم تكن تبالى على أىّ حالٍ أصبحت من الدنيا أو أمست .يعنى أنها كانت فى الدنيا راضية بكل حال والرضا باب من أبواب الزهادة فى الدنيا ، والإيمان الذى لا تخالطه ريبة فى أن اللّه عزوجل يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وهو عالم بما يكون فى صالح العبد ، فالرضا والتسليم من العبادات الراقية ، وإن شئت فقل : هو إيمان الخواص .

لا تـــــدر لـــــك أمـــــرا فـــــألوا التـــــدبير هلكـــــا
ســـــلّم الأمـــــر إلينـــــا فـــــنحن أولـــــى بـــــك منَـــــكَ

فقالت المرأة (لرابعة) فما فعل (أبو مالك) تعنى (ضيغماً) فقالت (رابعة العدوية أما(الضيغم) فإنه يزور اللّه تبارك وتعالى متى شاء ، قالت المرأة فقلت لها فمأفعل (بشرين منصور) ؟ قالت (رابعة) " (بخٍ بخٍ أُعطِىَ واللّه فوق ما كان يأمل).

قلت لها مُرينى بأم أتقرب به إلى الله تعالى : قالت (رابعة) مجيبة المرأة على هذاالسؤال : (عليك بكثرة ذكر الله فيوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك ، وكان (مرّة الهمدانى) قد سجد حتى أكل التراب جبهته ، فلما مات رآه رجل من أهله فى منامه وكان موضع سجوده كهيئة الكوكب الدّرّىّ، فقال له الرجل : ماهذا الأثر الذى أرى بوجهك ؟ قال (مرّه الهمدانى) : (كُسِىَ موضع السجود بأكل التراب له نوراً)قلت له فما منزلتك فى الآخرة ؟ قال الهمدانى : (خير منزل دار لا ينتقل عنها آهلها ولا يموتون وقال(قبيضة بن عقبة رأيت (سفيان الثورى) فى المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال :

نظرت إلى ربّى عيانا فقال لى ... هنيئاً رضاى عنك يا ابن سعيد

فقد كنت قواماً إذا الليل قد دجا ... بعيرة محزون وقلب عميد

فدونك فاختر أىّ قصر تريده ... وزرنى فإنى منك غير بعيد

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الأرواح جنود مجندة تلتقى فى الهواء فتشأم ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .وعن أبى الدرّداء قال : فإن كان طاهراً أذن لها بالسجود ، وإن كان جنباً لم يؤذن لها بالسجود).

وعن عبد الله بن مسعود –رضى الله عنه أنه قال : إن الأرواح جنود مجندة تتلاقى فتشأم كما تشأم الخيل ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف وهذا (عبد المطلب) جدّ النبى صلى الله عليه وسلم – دُلّ فى النوم على زمزم .وأصحاب الكنز الذى هناك ، ولا ينكر تلاقى الأرواح ، أرواح الأحياء بالأحياء ، وأرواح الأموات بالأحياء ، وأرواح الأموات بالأموات إلا جاهل ، أو مُتعنّتٍ جاحد .

هل الفناء للرّوح والبدن
أم للبدن فقط؟

هل الفناء للروح والبدن: أم للبدن فقط ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول وبالله التوفيق : يقول فريق من أهل العلم إن الروح تموت ، وتذوق الموت ، لأنها (نفس) والله تعالى يقول :

(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ.....)[1] والروح والنفس بمعنىً واحد ، والأدلة حاسمة فى أنه لا بقاء إلاّ لله وحده ، قال تعالى :(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ)[2] ويقول تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[3] .إذا كانت الملائكة تموت فمن باب أولى النفوس البشرية ، وقالوا فى قوله تعالى (قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ)[4] إن الموتة الأولى للبدن والآخرى للروح .

ويرى فريق آخر ، أن الأرواح لا تموت حيث إنها خلقت للبقاء ، وإنما الموت للأبدان ، وقد جاء ت النصوص ، دالة على نعيم الرّوح ، أو عذابها بعد مفارقتها للبدن إلى أن يعيدها الله للأبدان ، ولو كانت الرّوح فانيه لا تقطع عن البدن النعيم و العذاب ولكنّ الأمر بخلاف ذلك ، فنعيم القبر وعذابه ثابتان بالكتاب والسنّة ، ومنكرهما كافر لأنه آنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، ويقول الله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[5] وللتوفيق بين الرأيين نقول :

١.سورة آل عمران :من الآية ١٨٥.
٢.سورة الرحمن : الآية ٢٦.
٣.سورة القصص : من الآية.٨٨.
٤.سورة غافر : من الآية.١١
٥.سورة آل عمران : الآية.١٦٩-١٧٠.

الصّواب والراجح أن موت النفوس ، المقصود به مفارقتها للأبدان ، وهى بذلك تذوق الموت ، أمّا فناؤها ، وعدم وجودها فذلك ممِاّ لا دليل عليه ، بل إن الروح باقية ، بعد خروجها من الجسد ومنعمة أو معذبة .

وقد وصف اللّه تعالى الرّوح بالدخول و الخروج ، والقبض ، والتوفى ، وصعودها إلى السماوات ، يقول تعالى :(.....وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ...) (١)
ويقول تعالى : (يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي)(٢)يقال لها هذا القول عند مفارقتها للبدن .ويقول تعالى : (وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا)(٣)

فأخبر اللّه سبحانه وتعالى أنه سوّى النفس ، كما سوّى بدن الإنسان ، والذى أومأ إليه بقوله تعالى (ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) (٤).

فاللّه عزوجل سوّى نفس الإنسان ، كما سوّى بدنه .فتسوية البدن تابع لتسوية النفس ، والبدن موضوع للنفس مثل (القَالَب) لما هو موضوع له .ويقول ابن عباس رضى اللّه عنهما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .(لما أصيب أخوانكم بأحد جعل اللّه أرواحهم فى أجواف طير خضر تَرِدُ أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مَقِيلهم قالوا : (ياليت إخواننا يعلمون ما صنع اللّه لئلا يزَهدوا فى الجهاد، ولا يَنْكُلُوا عن الحرب فقال اللّه

١.سورة الأنعام : من الآية٩٣.
٢.سورة الفجـر : الآية٢٧.
٣.سورة الشمـس : الآية٧.
٤.سورة الإنفطار : الآية٧-٨.

عزوجل : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)(١).وهذا الحديث يصّرح(٢) بجلاء ووضوح تامّيين فى أن الروح تأكل وتشرب وتتحرك وتنتقل من مكان إلى آخر ، ولا تحصل المتعة كاملة إلا يرجوعها إلى الجسد ، ولذلك نقول : إن النعيم و العذاب فى الحياة البرزخية للروّح والبدن معاً .

ولقد أومأنا إلى ذلك آنفا حيث قلنا: إن الروّح تعود إلى الجسد ويكون الميت بين الموت واليقظة أى أنه يكون فى حال يستطيع فهم السؤال والإجابة .

وإن الأرواح تصعد إلى بارئها ، ثم تعود إلى الأبدان فى القبر ودليل ذلك قوله سبحانه : (.....لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ)(٣) وقال تعالى : (وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)(٤) والخلاصة أن العذاب والنّعيم على النفس والبدن جميعاوذلك باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعّم النفس وتعذبّ منفردة عن البدن ، وتنعّم وتعذب وهى متصّلة بالبدن ، والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليها فى هذه الحال مجتمعين ، كما تكون على الروّح منفردة عن البدن .

فالميت إذا مات ، وقبر يكون فى نعيم أو عذاب ، ويحصل ذلك لروحه وبدنه ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأرواح إلى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لربّ

١.سورةآل عمران : الآية ١٦٩.
٢.رواه أحمد .
٣.سورة الأعراف : الآية من ٤٠.
٤.سورة الحج : الآية من ٣١.

العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى قال تعالى : (يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)(١).

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها : (دَخَلَتْ علّىعجوز من عجائز المدينة ، فقالت : (إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم ، قالت فكذبتها فخرجَتْ ودخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .فقلت يارسول الله إن عجوزاً من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صَدَقَتَ) إنهم يعذبّون عذاباً تسمعه البهائم كلها ، قالت : (فما رأيته بعد ذلك فى صلاة إلا ويتعوذ من عذاب القبر.

وفى صحيح ابن حبّان عن (أم مبشر) قالت دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : (تعَوّذوا من عذاب القبر ، فقلت يا رسول الله ، وللقبر عذاب ؟ قال صلى الله عليه وسلم : (إنهم ليعذبوافى قبورهم عذاباً تسمعه البهائم) ولقد خصّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سماع البهائم لعذاب بعض أهل القبور ، لأن البهائم لا تعقل ، ولا تفكر ولكّن الإنسان يعى ، ويفكر ، ويعقل فلو أنه سمع ذلك لكره الحياة ، وانقطع أمله فيها ، وقعد عن العمل وتقاعس عن كل شىء فى الحياة الدنيا ، ولتعطلت نواميس الحياة وتلك رحمة من الله عزوّجلّ بعباده .

وروى من حديث (عائشة) رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها (سعد بن معاذ) .(وسعد بن معاذ)هو الصحابى الجليل رضى الله عنه هو الذى عزّت السماء فيه(محمداً)صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن

١.سورة المصطفين : الآية :٦.

قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً)[1].حيث سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم .قوله : محرّضاً الجنود على القتال (والله لا يقتاتلنهم اليوم رجل صابر ، محتسب ، مقبل غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، فقال يا رسول الله ، أَمَا بيني وبين الجنّة سوى هذه التمرات ، قال نعم ، فرمى بهنّ من يده ، وانطلق إلى ميدان المعركه يهيج في صفوف المشركين كما يهيج الجمل الأورق حتى لقى ربّه شهيداً ، ولم يستطع المسلمون التعرف عليه يومذاك لماذا ؟ لأنه كان في جسده ثنتان وثمانون ماً بَيْنَ ضربة بسيف رمية بقوس ، وطعنة برمح ، وإصابة بهم ولم تعرفه يومذاك إلا أخته ، وقد عرفته بثيابه وأطراف أصابعه ، وقد شيعت جنازة (سعد بن معاذ) سبعون ألفاً من الملائكة .أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومع ذلك لم يسلم من ضغطة القبر ، فما بالنا نحن المقصرين في أمور الدين فضلاً عن ارتكاب المناكر ، واقتراف الذنوب ، واجتراح السيئات ، وكراهية المسلمين بعضهم لبعض ، وأكل مال اليتيم ظلماً (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا)[2].

هذا بالإضافة إلى عدم التعاون والله قد أمر به في قوله تعالى (....وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ .....) وكراهية الإصلاح بين الناس وعدم إثارة الفتن ، يقول تعالى :(وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ)[3].وفي آية أخرى (وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ)[4] كما نرى انعدام التراحم في المجتمع الإسلامي لذى

١.سورة الأحزاب : الآية :٢٣.
٢.سورة المائدة :من الآية :٢
٣.سورة البقرة:من الآية ١٩١.
٤.سورة البقرة:من الآية٢١٧.

قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسّهر والحمّى) .ويقول الشاعر :

النــاس للنــاس مــن بدووحاضــرة بعـض لـبعض وإن لـم يشـعروا خـدمُ

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو أن أحداً أعفى من خمة القبر ، لا عفى منها (سعد بن معاذ) .

فالنعيم والعذاب ثابتان بالكتاب والسنة المطهرة فى الحياة البرزخية وأن الله سبحانه وتعالى جعل الدوُّر ثلاثة :

أولاً :دار الدنيا .

ثانياً:دار البرزخ

ثالثاً :دار القرار–وهى الدار الآخرة .

وجعل الله عزوجل لكلّ دَارٍ أحكاماً تختص بها ، فقد ركّب الإنسان من بدنٍ ونفس ، وجعل أحكام الدّار الدينويه على البدن والروّح تبعاً لها ، ولهذا جعل أحكامه الشرعيه مرتبة على ما يظهر من حركات اللّسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه وجعل أحكام (الحياة البرزخية) على الأرواح والأبدان تبعاً لها فكما تبعت الأرواح الأبدان فى أحكام الدنيا فتألمت بألمها ، والتزت براحتها ، وكانت هى التى باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعته الأبدان والأرواح فى نعيمها وعذابها ، وحينئذ تكون الأرواح هى التى تباشر النعّيم والعذاب ، حيث إن الأبدان هنا ظاهرة ، والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور للأرواح والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفيّة فى قبورها فتجرى أحكام البرزخ على الأرواح، فتسرى إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً مثلما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيماأو عذاباً .

وقد ذكر (ابن ابى الدنيا) فى(كتاب القبور) عن الشعبى (أنه ذكر رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم : (مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب فى الأرض ثم يخرج فيفعل به ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك (أبو جهل بن هشام) يعذبّ إلى يوم القيامة .

أين مستقر الأرواح ؟

هذه مسألة خلافية ، فقال فريق من أهل العلم : إن أرواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذلم يحبسهم عن الجنة (كبيرة ولا دين) وتلقّاهم ربهّم بالعفو والرحمة وهذا قول (أبى هريرة ، وعبد الله بن عمر) رضى الله عنهم أجمعين ويرى فريق آخر أنهم بفناء الجنة ، يعنى على باب الجنة يأتيهم من روحها ، ونعيمها ، ورزقها .

ويقول فريق ثالث : إن الأرواح على أفنية قبورها ، ويقول مالك رحمة الله : إن الأرواح مرسلة غير محبوسة تذهب حيث تشاء وقال الإمام أحمد فى رواية لأبنه (عبد الله (أرواح الكفار فى النّار وأرواح المؤمنين فى الجنّة .

وقال بعض الصّحابه والتابعين : إن أرواح المؤمنين عند الله عزوجل ولم يزيدوا على هذا القول .

ويرى فريق آخر أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالوش تغدو و تروح إلى رياض الجنة تأتى ربها فى كل يوم تسلم عليه وبهذاا لمعنى تكون الروح على ثلاثة أقسام : -

١-أرواح المقربين قال تعالى :

(فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ) (١)

١.سورة الواقعة :من الآية ٨٨-٨٩.

٢-أصحاب اليمين قال تعالى :(وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ)(١)

٣- وروح ضالة ، وأخيراً الله عزوجل عنها أن لها نزلاً من حميم يقول سبحانه :(وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ)(٢).

وأما قوله تعالى :

(إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ)(٣)

وذلك التنزل يكون عندا لموت وفى القبر، وعند البعث ، وأوّل بشائر الآخرة عند الموت ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرواح المؤمنين فى طير خضر كالزرازير تأكل من ثمر الجنة) وهو حديث رواه لنا (عبد الله بن عمرو) رضى الله عنهما .

هل ينتفع الميت بَسعْى الأحياء ؟ !

نعم ينتفع الأموات بسعى الأحياء ، وذلك بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء ، وأهل الحديث و التفسير وهما :

أحدهما :سعى الميّت ، وما قدمه من خير فى حياته .

ثانيهما : دعاء المسلمين له ، واستغفارهم ، وسائر أعمال البّر مثل الصلاة والصدقة ،والحج.

واختلف العلماء فى العبادة البدنية هل تصل إلى الميت وينتفع بها أم لا ؟ .

١.سورة الواقعة :الآية: ٢٧-٣٤.
٢.سورةالواقعة : الآية٩٢: .٩٤.
٣.سورة فصلت : الآية٣٠.

فمذهب الإمام (أحمد بن حنبل) وجمهور السلف ، وصولها ، وهو أيضاً قول معين أصحاب الإمام (أبو حنيفة النعمان بن ثابت) صاحب المذهب المعروف رحمة الله عليه والمشهور من مذهب (الشافعى) والإمام (مالك) أن ذلك لا يصل (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)[1] ونحن نرجّح انتفاع الميّت بهذه الأشياء وإليك الدليل : يروى لنا مسلم فى صحيحه من حديث (أبى هريرة) رضى الله عنه : أن رسول اللع صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة (صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوله) .فهو المتسبب فى كل هذه الثلاث (الصدقة الجارية ، والعلم النافع والولد الصالح) وفى سنن ابن ماجه من حديث (أبى هريرة) رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته (علماً علمّه ونشره ، أو ولداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورثة ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ÷ أو نهراً أكراه [2]،أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته .وفى صحيح مسلم أيضامن حديث (جرير بن عبد الله) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سَنّ فى الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء .

وهذا المعنى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من عدة وجوه صحاح وحسان وفى المسند عن حذيفة قال : (سأل رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك القوم ثم إن رجلاً أعطاه ، فأعطى القوم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : من سنّ خيراً

١.سورة النجم : الآية : ٣٩.
٢.أكراه: يعنى حفرة : المقصود بابن آدم الأول وهو قابيل .

فاستنَّ به كان له أجره ، ومن أجور من تبعه غير منقص من أجورهم شيئاً ، ومن سنّ شرّاً فاستنّ به كان وزره ، ومن أوزارمن تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً.

وقد دّل على هذا، بل وأيده قول النبى صلى الله عليه وسلم : لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أوّل من سنّ القتل .فإذا كان ذلك يحدث فى العقاب فمن باب أولى يحدث فى الفضل والثواب .

ومالنا نذهب بعيداً والقرآن الكريم بين أيدينا وفى قلوبنا وتعيش به أرواحنا فيقول الله عزوجل فى محكم كتابه الكريم (وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ.....)[1]

فأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنيَن قبلهم .فدلّ ذلك على انتفاع الأموات بعمل الأحياء وقد دلّ على انتفاع الأموات بدعاء الأحياء ، وإجماع الأمة على الدعاء للميّت فى صلاة الجنازة ، والأمر بالإكثار من الصفوف وشرع المناداة على الميت و إعلان الناس بنبأ وفاته وذلك ليتبع المسلمون الجنازة ، وفى ذلك رحمة للميّت ومغفرة له .

وفى السّنن من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم: -(إذا صلّيتم على الميت فأخلصوا له الدعاء) وفى السننمن حديث (عثمان بن عفان) رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم : إذا فرغ من دفن الميّت وقف عليه فقال (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

ولذلك الدّعاء لهم عند زيارة قبورهم ، فقد ورد فى صحيح مسلم من حديث (بريدة بن الخطيب) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعَلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون

١.سورة الحشر : من الآية : ١٠.

نسأل الله لَنَـا ولكم العافية .وفى صحيح مسلم .أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من آخـر الليـل إلى البقيـع فقـال : (السلام عليكم دار قـوم مـؤمنين ، وأتـاكم مـا توعـدون غـداً مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ، وفى صحيح مسلم أن عائشة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم كيف نقول إذا استغفرن لأهل القبور ؟

قـال عليـه السلام : (السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويـرحم الله المستقدمين منـّا والمستأخرين وإنـا أن شاء الله بكم لاحقون .وهذا توجيـه من النبى عليه السلام وإرشاد وتعليم .ودليل ايضاً على أن الأموات ينتفعون بعمل الأحياء .وإن الصدقة يصل ثوابها إلى الميّت ، ودليل ذلك ماروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها .أن رجلاً أتى النبى صلى الله عليه و سلم .فقال له يا رسول الله : إن أمّى أَفْلتتَ نفسها ولم توصٍ وأظنها لو تكلّمت لتصدقت ، أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال نعم .وفى صحيح البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله عتهما أن (سعد بن عبادة) توفيت أمّه وهو غائب عنها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : إن أمّى توفّت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال نعم : قال : (فإنى أشهدك أن حائط المخراف صدقة عنها .وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة .رضى الله عنه .أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إن أبى مات وترك مالاً ولم يوصٍ فهل يكفى أن أتصدق عنه ؟ قال نعم ، وفى السّنن ومسند أحمد عن (سعد بن عبادة) قال يا رسول الله إن (أم سّعد) ماتت فأىّ الصدّقة أفضل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : (المـاء) فحفر بئراً وقال هذه (لأم سعد) والسّر فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم –أجاب (سعد بن عبادة) حينما سأله أىّ الصدقة أفضل ؟ فقال له الرسول عليه السلام (المـاء) لأن الماء فى ذلك الوقت يُعَدّ من

المطالب الملحّة على الإنسان ، وأنه من الأساسيات التى لايمكن الاستغناء عنها فى الجزيرة العربية يومذاك ، وخاصة أنهم (بَدْو) وأهل الصحراء يقطعون الفيافى والوديان فهم فى مسيس الحاجة إلى الماء فِيه تقوم حياتهم ، وحياة إبلهم ، وأنعامهم ، كما كان العشب والكلأ من الضرورات أيضاً ، بل هو والماء يمثلان عُمُدَ الإقتصاد لديهم يومذاك وكم من معارك نْشبت ، وحروب اشتعلت على مرعى من المراعى أو فى سبيل بئر للماء لذلك كانت إجابة الرسول عليه السلام على سؤال (سعد ابن عبادة)بأن أفضل الصدقة (الماء) ولذلك نرى (سعداً) بادر بحفر بئر قائلاً (هذه لأمّ سعد) والأمر يختلف باختلاف العصور ، فلا عتبة لأحد عن الماء فى أىّ عصر ، وفى أى زمن ، وفى أى مكان يقول تعالى (وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ) (١). ونحن نرى أن الصدمة فى هذا العصر أفضلها (المال) فبالمال يستطيع الفقير ، والمتَصَّدق عليه أن يشترى به ماهو فى حاجة إليه من كساء أو غذاء ، أو إعانة على سداد دين واجب عليهأوإتفاق على طالب علم ، أو الإسهام فى مشروع من لمشروعات الخيرية ، والتى تقام بالجمهور الذاتية كبناء مدرسة أو مستشفى أو تعبيد طريق من الطُّرُق أو أىّ عرض من أعراض الخير التى تشبه ما أومأنا إليه آنفاً .

وإن ثواب الصيام يصل كذلك ففى الصحيحين عن (عائشة رضى اللّٰه عنها) أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال: (مَنْ مات وعليه صيام صام عنه وليُّه .وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى اللّٰه عنهما قال : (جاء رجل إلى النبى صلى اللّٰه عليه وسلم فقال يا رسول اللّٰه (أمّى ماتت وعليها صوم شهر ، أفأقضيه عنها ؟ قال نعم : فدين اللّٰه أحق أن يقضى وفى رواية أخرى أن إمرأة جاءت إلى رسول اللّٰه عليه السلام فقلت يارسول اللّٰه أمّى ماتت وعليها صوم نذر ، أفأصوم عنها ؟ قال عليه السلام : أفرأيت لوكان

١.سورة الأنبياء : من الآية : ٣٠.

على أمّك دين فقضيته أكان ذلك عنها ؟ قالت نعم يا رسول الله : قال عليه السلام فَصُومِي عن أمّكِ وفى سنن أبى داوود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إذمرض الرجل فى رمضان ولم يصم أطعم عنه ولم يكن عنه قضاء ، وإننذر قضى عنه وليّه ، وأما وصول ثواب الحج إلى الميّت فقد وردت فيه أحاديث كثيرة نذكربعضها للتدّليل على أن ثوابه يصل إلى الميت وينتفع به ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمّى نذرت الحج فلم تحج حتى ماتت ، أفحج عنها ؟ قال صلى الله عليه وسلم حُجّى عنها أرأيت لو كان على أمّك دَيْنٌ أكنتِ قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالقضاء ، ويروى الحديث من طريق آخر أن الخثعمية وهى امرأة من خَثْعم)قالت يا رسول الله : إن أمّى ماتتولم تحج أفأحج عنها؟قال لها رسول الله عليه السلام : أرأيت لو كان على أمك دين أكنتِ قاضية إيّاه ؟قالت نعم : يا رسول الله : قال عليه السلام : إذن فدين الله أولى -يعنى فدين الله أحق وأولى بالسداد .

الشَّفـــاعَة

الشَّـــفـــاعـــة

إن المقصود بالشفاعة : هو : (سؤال الله الخير للناس فى الآخرة ، وبهذا المعنى تُعدّ الشفاعة لوناً من ألوان الدعاء المستجابة .ومنها الشفاعة العظمى ، وتلك لا تكون إلا لهادينا ومرشدنا ، وزعيمنا ،رائدنا ، وحبيبنا سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ما ناحت مطوقة ، وماذرّ شارق فإن رسول الله عليه السلام يسأل الله عزوجل القضاء بين الخلق ليستريحوا من هول الموقف ، فيستجيب الله له فيغبطه الأوّلون والآخرون ، وبالشفاعة العظمى يظهر فضله عليه السلام على العالمين ، وهذا هو المقام المحمود الذى وعدة الله به فى قوله سبحانه :(وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا) [١] وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الشمس تدنو يوم القيامة ، حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول : لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً بحمده أهل الجمع كلهم) [٢] وعن أبىّ كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:(إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم من غير فخر[٣] وما عدا هذه الشفاعة من الشفاعات فهى مشروطة بأن تكون بإذن الله قال سبحانه :(.....مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ.....). [٤] وأن الشفاعة لا تكون إلا لمن ارتضى الله أن يشفع له قال سبحانه :

١- سورة الإسراء : الآية : ٧٩.
٢- رواه أبو داوود "الحاكم " .
٣- رواه أبو داوود "
٤- سورة البقرة : الآية : ٢٥٥.

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ)(١).

ولا يرتضى الله الشفاعة إلا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الإلهى ، وتكون الشفاعة لإظهار كرامة الشافع عند ربه ، تنفيذاً للإرادة الإلهية عقب دعائه ، وطلب الشفاعة من الله .

وكان الوثنيون يعتمدون على أوثانهم ، التى يعيدونها من دون الله ، ويعتقدون أنها ستشفع لهم عند الله .يقول الحق سبحانه :

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾)(٢).

ونرى كثرة كاثرة من البشر يعتمدون على شفاعة الصلحاء والوجهاء من الناس واستسانحوا كل لون من ألوان الإنحراف ، والخروج عن طاعة الله ، ارتكاناً وارتكازاً على هذه العقيدة ، فقطع الله حجتهم داحضة فأنزل قوله سبحانه :

(لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا

١- سورة الأنبياء : الآية ٢٩.
٢- سورة المدثر : الآية٣٨-٤٨.

﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (١).

إن الإسلام هو الدين الحق ، وهو إسلام الوجه لله عزوجل ، وإحسان العمل وإتقانه ومراقبة الله عزوجل وخشيته ، وأن روح الإسلام هى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبنته فاطمة الزهراء ريحانة النبى صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله عنهما هو قوله عليه السلام :(اعملى يا فاطمة فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً) والله عزوجل فنّره عن مجاملة أحد من خلقه ،أو محاباته ، وتلك سنته فى الأولين والآخرين يقول سبحانه :

(أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ) (٢).

ثم يشفع الرسول بعد أن يأذن الله له ، وبعد انتهاء مدة العذاب للعصاة ، يشفع النبى عليه السلام فى إخراج العاصى من النار ، فأحكام الآخرة مثل أحكام الدنيا ، والتشبيه مع الفارق حيث إننا فىالحياة الدنيا ، أن كل جناية لها عقوبتها ، فجناية السارق قطع اليد وجناية الزانى المحصن الرجم ، وجناية غير المحصن الجلد فكل جناية لها عقوبتها هذا حسب الشريعة الإسلامية ، وكذلك فى القانون الوضعى والذى هو من صنع البشر فإننا نرى الأحكام أيضاً متباينة ، فعقوبة السارق بخلاف عقوبة القاتل ، وعقوبة الزانى تخالف عقوبة سارق المال العام ، وتخالف أيضاً الحكم على المرتشى وهكذا – فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الكبائر بعد دخولهم النار فيقبل الله شفاعته فيهم ويخرجهم منها ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله

١- سورة النساء : الآية١٢٣-١٢٥.
٢- سورة النجم : الآية٣٦-٤١.

صلى الله عليه وسلم قال: (لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة) (١).

وزاد مسلم فى روايته على ما تقدم : (فهى أى الشفاعة نائلة يعنى ستصيب وننال إن شاء الله تعالى من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم : فيدخلون الجنة يسَّمون الجهنميين .) (٢).

ويقول سبحانه :

(يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلاً).

١- رواه البخارى ومسلم .
٢- رواه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه .وسموا بهذا الاسم (الجهنميين) ليذكرواما كانوا فيه من عذاب ، وما أدركوه من نعيم فيزدادوا فرحاً وسروراً .